في ذكراك يا أبا الهاءات

كمال محمود علي اليماني

عنَّ لي في الذكرى السادسة لرحيل الشاعر اليمني الكبير الأخ و الصديق محمد حسين هيثم والموافقة للثاني من مارس 2007م ، أن أتناول في قراءة انطباعية قصيدته ((غبار السباع- فانتازيا شعبية)) ، والقصيدة تستثير القارىء منذ أن تقع عيناه على العنوان فهو يجمع بين الغبار بما فيه من خواء وضعف ، والسباع بما فيها من شجاعة وقوة ، ،فكيف لهاتين اللفظتين بما تحملان من تناقض في معانيهما ، أن تلتقيا في جملة واحدة تكون عنوانا لقصيدة ، ومما لاشك فيه أن عنوانا كهذا يستنفز القارئ لمطالعة القصيدة واستجلاء مكنوناتها لإدراك بغية الشاعر من هذا المزج بين اللفظتين، وتأخذنا الإستثارة بعدئذ لنعبر إلى تسميتها- أعني القصيدة - بالفنتازيا الشعبية ، والفنتازيا هو نوع أدبي يقوم على الخيال الواسع والأساطير والخرافات ، وهي في معناها المعجمي ألعاب فروسية ، فهل كان الشاعر هيثم يرمي إلى المعنى الأول للفنتازيا ، أم أن المعنى الثاني هو الذي أراده ، أم أنه أراد المعنيين معا ؟ الحق أن القصيدة توحي بهذا وذاك وتترك الاستنتاج مفتوحا على مصراعيه أمام القارئ فلاهي تميل إلى جهة المعنى الأول كل الميلان ، ولاهي تقف منحازة للمعنى الثاني ، فكلا المعنيين له من القصيدة نصيب .

والقصيدة - في تقتيتها السردية - هي رسم رافض من الشاعر للواقع العربي المتهافت وبطولات قادته الدونكيشوتيه التي تظهر الاستقواء على الضعيف ، والتي يلخصها الشاعر العربي القديم بقوله::

أسدٌ عليَّ وفي الحروب نعامة ....
فتخاءَ تنفرُ من صفير الصافر
هلا برزتَ إلى غزَالةَ في الوَغى ...أم
كان قلبكَ في جناحي طائر.

واستخدام ((بنوعمي)) - وإن كان الهيثم قد استخدمها كلازمة - - ليس بالجديد في الشعر العربي ، وهو استخدام معادل لقولنا قومي ،أي هؤلاء الذين أنتمي إليهم من العرب الذين كانوا أماجد وكانوا فوارس وسباعا شراب دم ، حاطبي موت ،جنونا واجتياحا ،وكانوا في تاريخهم هبوبا صاعقا ،عصفا ،ونارا ، وإذا بهم قد صاروا إلى فرار ..وغبار .

بنو عمي سباع سبعة .. والعدد سبعة له مكانته في الثقافة الشعبية العربية فالسموات سبع والأرضون سبع ، وأيام الأسبوع كذلك ، وغيرها من الظواهر التي ارتبطت في المخيال الشعبي بالرقم سبعة ، لذا فقد تعمد الشاعر هيثم اختيار الرقم سبعة ليكون ممثلا لعدد أبناء عمه الفوارس في القصيدة ، لكن بني عمه أولئك الذي رسم لهم صورة الفرسان الأماجد ، ماكانوا كذلك إلا لأنهم رأوا عدوهم رجلا قليلا ،لذا...

بنوعمي استداروا
بنو عمي أغاروا
على رجلٍ قليلٍ ، عابرٍ في الظل ،
فاشتد الأوارُ ..

(طراطق طق - طراطق طق ...) ، يأتيك صوت حوافر العاديات المغيرات ، يأتيك صوتها سبعاً . لكن هذا الرجل القليل لم يكن قليلا كما تصوروه ، أو لعلهم كانوا هم أقل من القليل ، وإذا بهم ..

بنوعمي تنادوا في تبعثرهم وحاروا
بنوعمي انسحابٌ باسلٌ في العتمة الأولى..
يساوره غبارُ
هل نظرت إلى تبكيته في قوله
بنوعمي انسحاب باسل .. ومتى كان الانسحاب باسلا إلا حين التهكم والسخرية .

ثم إذا هم .. بنو عمي سباعٌ ستة .. شرّاب دم حاطبو موت ..

لقد طوى الانسحاب الباسل في عتمة الغبار فارسا منهم وغدوا ستة.

بنو عمي استداروا
مرة أخرى إلى الرجل الكثير
وحاولوه
وطاولوه
في ضحى عار كليل وأغاروا
(طراطق طقّ- طراطق طق) وهاهي ذا وقع الحوافر صار ستا ..والرجل الذي كان قليلا أضحى كثيرا ، حين تكشف لهم أمر خورهم ،ففر أجبنهم وبقي الآخرون .

بنو عمي استخاروا
رعبهم وأستدبروا وهناً يرتلهم غبارُ
صورة تهكمية أخرى إذ يستخير الفوارس رعبهم ، وأنّى لرعبهم إلا أن يشير عليهم بالفرار..وإذا بهم
بنوعمي سباعٌ خمسة شرّاب دم حاطبو موت
وهكذا نُمضي مع الشاعر في رحلة الشجاعة المزعومة ليتكشف لنا مدى الضعف والخور والجبن الذي وصل إليه قادة الأمة .. ولتصف لنا القصيدة فرار الفوارس عند الوغى .. فالعدد يسير في خطه التنازلي واحدا واحدا .. وطراطق طق يخفت وقعها كلما فر فارس وترك الآخرين في الميدان وراءه .

والفوارس السبعة الذين كانت صفاتهم سبعاً .. شرّاب دم ..حاطبو موت ..جنونٌ واجتياحٌ ..هبوبٌ صاعق ..عصفٌ ..ونارٌ.

راحت صفاتهم تتناقص هي أيضا مع كل فارس متخاذل يترك الميدان ..وإذا بنا مع الفارس الأخير ..

بنو عمي ..سبيعٌ ..واحدٌ نارُ ..

وهاهو التبكيت الثالث في قوله سبيع ، وقد وصف به من قبل بني عمه حين قل عددهم إلى اثنين ، فجاء بلفظ التصغير تهكما منه وسخرية.

ويختتم القصيدة في أجمل خاتمة متوخاة ..

بنو عمي .....
بنو عمي .....
بنو عمي .....
(فووووو فووووو)
بنوعمي غبارُ
هاهم أبناء عمه /قومه/ قادة أمته يتلاشون واحداً واحداً ويطويهم الغبار .. بل قل إنهم هم أضحوا غبارا ..

رحم الله الشاعر اليمني الكبير الأخ والصديق محمد حسين هيثم وأسكنه الفردوس الأعلى منا منه وفضلا ..لقد كان شاعرا مجيداً ..فذاً لايشق له غبار .. لكنه لم يكن غبارا كغبار بني عمه .

والقصيدة - في تقتيتها السردية - هي رسم رافض من الشاعر العربي المتهافت للواقع العربي

في اللّاوعي

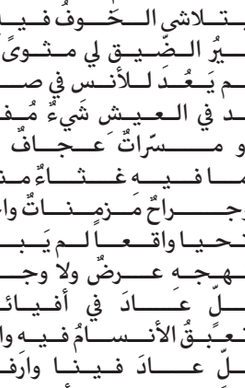

فيصل البريهي

كلّما راهنتُ أعياني الرّهانُ
وانقضى العمرُ...ومَا آن الأوانُ
أن يراني العيشُ مُخضّر الرُّؤى
في مناخٍ ليس يغشاهُ الهوانُ
كالرّبيع الطّلق حتّى مرةً
تزهرُ الأحلامُ فيها والحنانُ
* * *
أيُّها الماضي الذي ودّعتُهُ
ذكريات ناءَ بي عنها الزّمانُ
كلُّ أيامي التي في ظلّها
كان يزهو الطيشُ بي والعنفوانُ
بِضعُ أيام كما لو أنّها
والليالي الغُرّ سبعٌ أو ثمانُ
* * *
ها أنا للهمّ دربٌ شائكٌ
يتلاشى الخوفُ فيه والأمانُ
ليس غيرُ الضّيق لي مثوىً كما
لم يَعُدَ للأنس في صدري مكانُ
لم يَعُد في العيش شيءٌ مُفرحٌ
أو مسرّاتٌ عجافٌ أو سمانُ
كلُّ ما فيه غثاءٌ منتنٌ
وجراحٌ مزمناتٌ واحتقانُ
نحنُ نحيا واقعاً لم يَبقَ في
نهجه عرضٌ ولا وجهٌ مُصانُ
أيُّ ظلٍّ عادَ في أفيائنا
تعبَقُ الأنسامُ فيه والجِنانُ؟
أيُّ ظلٍّ عادَ فينا وارفاً
ما لبؤسٍ فيهِ أو رجسٍ كيانُ؟
* * *
أين أنتَ الآن يا حرفي الذي
لم يَعُدْ يطريكَ سحرٌ أو بيانُ؟
صَعِّرِ الخدَّ انحرافاً سافراً
حَيثُ لا يُجدي اعتدالٌ واتّزانُ
أنتَ في اللاوعْي أقوى حجةً
منكَ في ما أنتَ بالمعنى مُدانُ
* * *
كلُّ تلكَ الأوجه الشوهاءُ من
قبلُ لاَ يعتادُها إنسٌ وجانُ
لم يجد شكلاً ومضموناً لها
بالشياطين ارتباطٌ واقترانُ
أوجهٌ سودٌ...زنوجٌ كلُّها
أو قرودٌ رُبّما أو تركمانُ
كم وجوهٍ حاولوا تجميلَها
بمساحيقَ وأصباغٍ فشانوا
أنفُوا أن يعرقوا من غيرةٍ
فاستلذُّوا الخزيَ عنهُ واستكانوا
أيُّ وجهٍ غيّرتْ بشرتُهُ
كيفَ يَندى في مُحيّاهُ الدهانُ؟
* * *
جاء عصرٌ لم يَعُدْ في همّتي
أنّني فيه شجاعٌ أو جبانُ
كلُّ ما أعرفُهُ أنّي هُنا
شاعرٌ والكونُ حولي مهرجانُ
أعشقُ الأشباحَ ظناً أنّها
حينما تجتاحُني حورٌ حسانُ
لستُ أدري أنّني في عالمٍ
فاحشٍ أقدسُ ما فيهِ اللّعانُ
* * *
كلُّ آفاقي فضاءٌ صاخبٌ
يتساوى الغَيْمُ فيه والدُّخانُ
ما الذي تُخفيه نفسي؟!ليس لي
في الدُّجى المسحورِ «شمسٌ» أو «حصانُ»
ها أنا بحرٌ غضوبٌ هائجٌ
ما لأمواجي جماحٌ أو عنانُ
لي مِن البركان أحشاءٌ...ومن
كلِّ إعصارٍ وبرقٍ لي لسانُ
ومن الأنسام لي قلبٌ...ولي
من عبيرِ الحُسْنِ طيْبٌ وافتتانُ
لي أحاسيسُ الروابي..ينتشي
من ندى وردي الشذى والأقحوانُ
أينما يمّمتُ شوقي حجّ من
كلِّ فجٍّ بالهوى نحوي أذانُ
ألْفُ «بلقَيسٍ وليلى» قاسمتْ
ها جنونيَ «غادةٌ» و «الخيزرانُ»
* * *
يا خُرافاتِ الهوى إنّي هُنا
مثْلُ كفٍّ صُفّدتْ مِنهُ البنانُ
لم يكن عيشيَ مجّونيّاً كمن
قبلُ كانَ اللهوُ يحياهم وكانوا
ليس إلاّ شاشةٌ سحريّةٌ
يرقصُ الغلمانُ فيها والقيانُ
* * *
ما الذي يبتزُّ منّي خنجري
كلّما استلقى على صدري الطّعانُ؟
عاجزٌ تزهو الأماني في دمي
مثلما تزهو على الغيد الجمانُ
آه...يكفي يا خُرافاتِ الهوى
ما سوى ربي عليكِ المستعانُ

الفكر العدمي

أصدر مشروع "كلمة" للترجمة التابع لهيئة أبوظبي للسياحة والثقافة كتاب "أساتذة اليأس.. النزعة العدمية في الأدب الأوروبي" للكاتبة الفرانكو-كنديّة نانسي هيوستن. أنجز الترجمة بالعربية عن الفرنسية وليد السويركي.

تتتبّع نانسي هيوستن في هذا الكتاب تطور النزعة العدميّة في الأدب الأوروبي منذ القرن التاسع عشر حتّى الكتابات المعاصرة، فتتفحص بداية الأساس الفكريّ والنظري الذي يستند إليه كتّاب العدميّة الغربيّين انطلاقاً من فلسفة التشاؤم عند آرثر شوبنهاور الذي تسمّيه "بابا عدم". ثم تستخلص عبر فصول الكتاب العناصر البيوغرافية والفلسفية والأسلوبيّة التي تجمع بينهم، وتقدّم قراءتها الشخصيّة الناقدة لأبرز أعمال بعضهم (صامويل بيكيت، اميل سيوران، ميلان كونديرا، ايمره كيرتش، توماس بيرنهارد، الفريده يلينيك، ميشيل ويلبيك، كريستين أنجو، ساره كين وليندا لي)، وهي قراءة تتميزّ بقدر كبير من الجرأة والاختلاف، لا تتردّد في الخروج على الإجماع النقدي والجماهيري الذي يحظى به هؤلاء الكتّاب.

تحيل الكاتبة نشأة الفكر العدميّ إلى عدة عوامل منها تزعزع المسلمّات اليقينية حول مكانة الإنسان ودوره في الكون، مع مطلع الحداثة في القرن السابع عشر، ثم "أزمة الذكورة" الناجمة عن تحرّر المرأة وتحولات الأدوار الاجتماعية للجنسين، و أخيراً ما نجم عن الحرب العالمية الثانية من فظائع قادت إلى أزمة أخلاقية وروحية كبرى في أوروبا المعاصرة.

وتخوض هيوستن سجالاً حادّاً ضدّ الرؤية العدميّة الأحادية للعالم، من موقع نسويّ يرفض الجذريّة السوداويّة، لصالح وعي نقديّ جدلي ينحاز للحياة بكلّ تناقضاتها، بأفراحها وَمآسيها، ودون أن يسقط في فخّ لتبشير بالأوهام الزائفة والأحلام الجميلة والآمال الخادعة.

تهاجم المؤلفة الفكر العدميّ الذي يستعيد قيماً دينية ثنائية من الثقافة الغربية القديمة، مثل التعارض الجذري بين الجسد والروح، والانتقاص من قيمة الجسد والإنجاب، والمبالغة في الإعلاء من قيمة الروح، وكره المرأة بوصفها تجسيداً للحياة الحسيّة .ولا تتردّد في كسر أحد التّابوهات النقدية التي فرضتها البنيوية والشّكلانية اللتان سيطرتا على الآداب في فرنسا، ألا وهو الربط بين حياة الكتّاب وتأثيرها "المحتمل" في مضمون كتاباتهم وشكلها. وهي ترجع عودتها للمنهج البيوغرافي إلى التشابه الكبير الذي وجدته بين السير الذاتية المختلفة لهؤلاء الكتّاب والمسلّمات العدمية في أعمالهم.

وتكشف المؤلّفة كيف أن المبالغة في السوداوية، والتبشير باليأس، سواء صدرا عن موقف وجودي حقيقي أم عن تصنّع وافتعال، قد باتا وصفة ناجحة لضمان نجاح الأعمال الروائية في الغرب؛ "فبما أن العبقرية هي دائماً ضرب من التجاوز، فإنّه غالباً ما ينظر لتطرف الكتاب العدميّين على أنّه علامة من علامات العبقريّة".

لكن هيوستن تشدّد في أكثر من موضع على أنها لا ترفض التعبير عن الألم واليأس في الأعمال الفنية بل أن يتم تحويلهما إلى نسق فلسفي أحاديّ يتأسس على القطيعة بين الإنسان والعالم ـ وبين الإنسان وأخيه الإنسان، فيتمّ التنكر لكل ما يمثل صلة حقيقية بالآخرين كالأمومة والأبوة والصداقة، والعواطف الإنسانيّة. وفي سياق محاججتها ضدّ الفكر العدميّ، تعرض لأعمال الكاتبة الفرنسية شارلوت ديبلو والكاتب النمساوي جان أمري بوصفهما نقيضين لأساتذة اليأس، حيث ظلا على إيمانهما بالحياة بالإنسان على الرغم مما تعرّضا له في معسكرات الاعتقال النازيّة من ألوان العذاب.

وكما في أعمالها الأخرى تمزج هيوستن بين التأمل النظري والسرد التخيّيلي،حيث جعلت بين فصول الكتاب التي تتناول المؤلفين الذين درستهم، فواصل حكائية وحوارية مع شخصيّة متخيّلة، تعزّز من وجهة نظرها وتجعل من قراءة هذا العمل متعة فكرية حقيقية ورحلة أدبيةً شائقة.

المؤلفة نانسي هيوستن روائيّة، ناقدة، وموسيقيّة، من مواليد كالغاري (كندا). تعدّ إحدى أهمّ الروائيات المعاصرات باللغة الفرنسية، درَست في الجامعات الأميركية قبل أن تنتقل إلى فرنسا حيث أعدّت أطروحة تحت إشراف رولان بارت. تعيش في باريس منذ العام 1973 برفقة زوجها الناقد والمفكر المعروف تزفيتان تودوروف. تكتب باللغتين الإنجليزية والفرنسية وتترجم نفسها في الاتجاهين. لها مايزيد عن ثلاثين كتاباً تتوزع على الرواية والمسرح والدراسات النقديّة وأدب الأطفال. نالت العديد من الجوائز من أبرزها الجائزة الكندية- السويسرية عن روايتها "نشيد السهول" 1993، جائزة ليفر –انتر عن " أدوات الظلام" 1996، وجائزة فيمينا الفرنسية عن "خطوط التصدّع" 2006 ، كما حصلت على دكتوراه فخريّة من جامعتي ليج البلجيكيّة ومونتريال الكنديّة.

قام بنقل الكتاب إلى العربية وليد السويركي وهو شاعر ومترجم من الأردن، مواليد 1967 في الجفتلك-فلسطين. عمل مدرّساً للأدب الفرنسي في جامعة اليرموك- الأردن من 1996 إلى 2008. أصدر مجموعته الشعرية الأولى" أجنحة بيضاء لليأس" عام 2006 ،عن دار فضاءات-عمّان. له في مجال الترجمة :اللانظام العالمي الجديد، تزفيتان تودوروف، دار أزمنة 2005، بعيداً عن البشر، باسكال ديسان المؤسّسة العربية للدراسات والنشر، 2007، طردت اسمك من بالي، أمبرتو أكابال، دار أزمنة، 2009. وروايتان ضمن مشروع "كلمة" للترجمة: في خانة اليْك (ايوجين) و ما كنت لأوذي ذبابة (آن–ليز غروبيتي)، 2010. هذا إضافة إلى العديد من الترجمات الأدبية التي نشرت في دوريّات وصحف أردنية وعربيّة.

إلهانيات

ليلى إلهان

هكذا كل صباح أحب فيك جنوني /
فلا ترغمني على النسيان .
***
الشارع يخلو من المارة / إلا من خطواتك
التي ما زالت تدفئ برودة .
***
الساعة ما زالت تنتظر الفرج
لموعدها القادم مع حبيبها الوقت /
لهذا دع وصولي كقارئة فنجان عابرة .
***
ما زال الوقت مبكراً كي تسأل عن سبب
تأخري .
***
وسط الشهقة لم أعد أجد نفسي /
ووسطها أيضاً أجد عواطفي الجديدة .
***
عالمك الديمقراطي بثورته /
نسي أن يعلن عن حريته معي .
***
بالرغم أن الربيع بكل جماله أصبح من حولي /
إلا أني لم أستطع رسم ابتسامتي بين
ألوانه الأربعة .
***

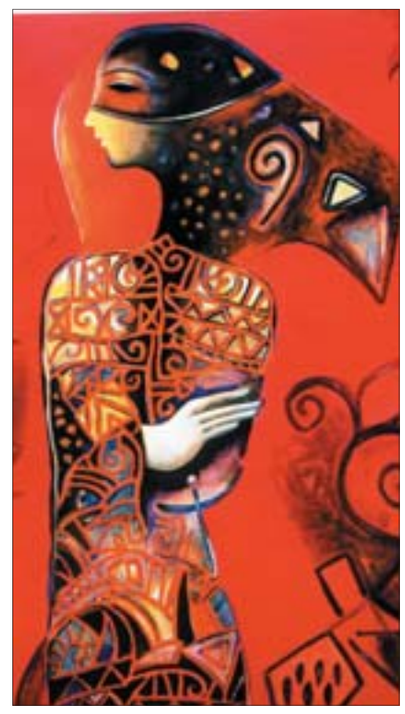

أدور كإصبعك حول عنقي كخاتم فضي /
يعي بشوقي المفرط نحوك .
***
كان جاهزاً حذقي لإطلاقه للطيش /
وبرغم إعادة الكرة
سقطت من رأسي فكرة التجاهل .
***
الفراق كحالة مرضية / وكقصر نظر
تجاوز المائة عام وأصبح من التراث
العثماني .
***
اشتركت فيما تحب / وكرهت ما هو ليس
لك /
وضحكنا سوياً / واليوم عادت كل أشيائي
لي / لي وحدي /
ونسيت أنك تحبني فما فائدة الاشتراك في
الحب .
***
أحياناً تعود ذكرياتي في تلميع ما أريد
معرفته /
وأحياناً في نسيان ما يجب تذكره
وهذا الفرق بين الماضي والحاضر .
***
كي أرسم قسوتك احتجت مليون قلب
لأكتب معاناتي الكبيرة .
***
اللوحات الصامتة في قاعة العرض
سالت منها لهفتي أمامك /
لا تلتقط لي صورة فوتوغرافية
إنما حاول رسم حزني .
***
كما تركت قلبي مواربا سأتركه لك /
وأخلعه تماماً للريح .
***
كم رصاصات طائشة تصيب جسدي /
وكم هي لحظات الخوف /
فهذا هو الفرق بين الحياة والموت .
***
الغرفة خالية منك / وأنا انتظرك
بنصف قلب وشوق محترق .
***
بالنسبة لهذا البيت لقد فقد نوافذه وأبوابه
عند الحاجة /
فقد زيارات أسرية كثيرة وفقد كل ما هناك
من أصوات الأطفال / وفنجان قهوة مع
أحبته .